

التحرير والتنوير

وقد علم من هاته الآيات عموم علمه تعالى بالكلية والجزئيات . وهذا متفق عليه عند أهل الأديان دون تصريح به في الكتب السابقة وما أعلنه إلا القرآن في نحو قوله (وهو بكل شيء عليم) . وفيه إبطال لقول جمهور الفلاسفة أن العلم بالكلية خاصة ولا يعلم الجزئيات زعما منهم بأنهم ينزهون العلم الأعلى عن التجزي ؛ فهم أثبتوا صفة العلم بالكلية وأنكروا تعلق علمه بجزئيات الموجودات . وهذا هو المأثور عنهم عند العلماء . وقد تأوله عنهم ابن رشد الحفيد ونصير الدين الطوسي . وقال الإمام الرازي في المباحث المشرقية : ولا بد من تفصيل مذهب الفلاسفة فإن اللائق بأصولهم أن يقال : الأمور أربعة أقسام ؛ فإنها إما أن لا تكون متشكلة ولا متغيرة وإما أن تكون متشكلة غير متغيرة وإما أن تكون متغيرة غير متشكلة ؛ وإما أن تكون متشكلة ومتغيرة معا . فأما ما لا تكون متشكلة ولا متغيرة فإنه تعالى عالم به سواء كان كليا أو جزئيا . وكيف يمكن القول بأنه تعالى لا يعلم الجزئيات منها مع اتفاق الأكثر منهم على علمه تعالى بذاته المخصوصة وبالعقول .

وأما المتشكلة غير المتغيرة وهي الأجرام العلوية فهي غير معلومة له تعالى بأشخاصها عندهم لأن إدراك الجسمانيات لا يكون إلا بالآت جسمانية .
وأما المتغيرة غير المتشكلة فذلك مثل الصور والأعراض الحادثة والنفوس الناطقة فإنها غير معلومة له لأن تعلقها يحوج إلى آلة جسمانية بل لأنها لما كانت متغيرة يلزم من تغييرها العلم .

وأما ما يكون متشكلا ومتغيرا فهو الأجسام الكائنة الفاسدة . وهي يمتنع أن تكون مدركة له تعالى للوجهين " أي المذكورين في القسمين الثاني والثالث " اه .

وقد عد إنكار الفلاسفة أن العلم بالجزئيات من أصول ثلاثة لهم خالفت المعلوم بالضرورة من دين الإسلام . وهي : إنكار علم بالجزئيات ؛ وإنكار حشر الأجساد والقول بقدم العالم . ذكر ذلك الغزالي في تهافت الفلاسفة فمن يوافقهم في ذلك من المسلمين يعتبر قوله كفرا لكنه من قبيل الكفر باللازم فلا يعتبر قائله مرتدا إلا بعد أن يوقف على ما يفضي إليه قوله ويأبى أن يرجع عنه فحينئذ يستتاب ثلاثا فإن تاب وإلا حكم برده .

(وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقتضى أجل مسمى ثم إليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون [60]) عطف جملة (وهو الذي يتوفاكم) على جملة (وما تسقط من ورقة إلا يعلمها) انتقالا من بيان سعة علمه إلى بيان عظيم قدرته لأن ذلك كله من دلائل الإلهية تعليما لأوليائه ونعيا على المشركين أعدائه . وقد جرت عادة

القرآن بذكر دلائل الوجدانية في أنفس الناس عقب ذكر دلائلها في الآفاق فجمع ذلك هنا على وجه بديع مؤذن بتعليم صفاته في ضمن دليل وجدانيته . وفي هذا تقريب للبعث بعد الموت . فقلوه (وهو الذي يتوفاكم) صيغة قصر لتعريف جزأي الجملة أي هو الذي يتوفى الأنفس دون الأصنام فإنها لا تملك موتا ولا حياة .

والخطاب موجه إلى المشركين كما يقتضيه السياق السابق من قوله (لقضي الأمر بيني وبينكم) واللاحق من قوله (ثم أنتم تشركون) ويقتضيه طريق القصر . ولما كان هذا الحال غير خاص بالمشركين علم منه أن الناس فيه سواء .

مجاز النوم على وإطلاقه . مستوفى الشيء قبض في حقيقة لأنه الإماتة حقيقته والتوفي A E لشبه النوم بالموت في انقطاع الإدراك والعمل . إلا ترى قوله تعالى (اِذْ يَتُوفَى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى) . وقد تقدم تفصيله عند قوله تعالى (اِذْ قَالَ اِبْرٰهٖمُ يَا عِيسٰى اِنِّىْ مُتَوَفِّىْكَ) في سورة آل عمران .

والمراد بقوله (يتوفاكم) ينيمكم بقريئة قوله (ثم يبعثكم فيه) أي في النهار فأراد بالوفاة هنا النوم على التشبيه . وفائدته أنه تقريب لكيفية البعث يوم القيامة ولذا استعير البعث للإفاقة من النوم ليتم التقريب في قوله (ثم يبعثكم فيه)